

الانتحار الإرادي والانترنت
 (تحليل حقائق من اليوتوب و الفايسبوك و الألعاب الالكترونية و محرك
 البحث google)
 دراسة لعينة من المنتحرين
Suicide sur Internet
*(Faits sur YouTube, Facebook, les jeux électroniques et le moteur de
 recherche Google)*

ط/دحافي فاطمة^{1*} ، د/حافي آسيا²

¹ جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي baslifatma2012@gmail.com

² جامعة حمدة لخضر - الوادي hafiassi2@gmail.com

تاريخ النشر: 2021 / 12 / 31

تاريخ القبول: 2021 / 11 / 23

تاريخ الاستلام: 2021 / 08 / 25

ملخص

ظاهرة الانتحار في تجدد بتجدد الوسائل و الظروف المحفزة لها و بانتشار الانترنت و تنوع محتواها كان للانتحار نصيبا من المتابعين من الشباب في العالم اجمع مما يثير القلق و يدق ناقوس الخطر حول حياة العديد من الشباب ضعيفي النفوس ضحايا هذه المواقع. لتسلط الدراسة الضوء على أهم مستجدات الانتحار الالكتروني والذي يحصد أرواح أبنائنا مستعملي الانترنت و التنبيه إلى ما قد يغيب عن أذهان البعض من خطورتها بتحليل محتوى بعض المواقع المشجعة على الانتحار و التركيز على حالات الانتحار في الجزائر جراء الألعاب الالكترونية و الانترنت. الكلمات المفتاحية: انترنت، يوتوب، فايسبوك، رسالات إعلامية مشفرة، انتحار إرادي، محرك بحث عالي google

Abstract:

Le phénomène du suicide se renouvelle avec le renouvellement des moyens et des conditions qui le motivent, la diffusion d'Internet et la diversité de son contenu. l'alarme sur la vie de nombreuses jeunes victimes faibles d'esprit de ces sites L'étude met en lumière les développements les plus importants du suicide électronique, qui prend la vie de nos enfants, utilisateurs, et d'alerter certains de ses risques en analysant le contenu de certains sites qui encouragent le suicide et en se concentrant sur les suicides en Algérie à la suite de jeux et Internet.

Mots-clés: internet, youtube, facebook, messages multimédias cryptés, suicide de revenus, moteur de recherche global google

1- مقدمة :

يتساءل البشر في حديثهم عن الإنتحار عما أن كان المنتحر مجرم؟ أم ضحية أوضاع مجتمعه؟ أم أن هناك عوامل أخرى نجعل قدرتها على تحريك هذه الظاهرة؟ فلم ينحصر التساؤل عن كون المنتحر مجرم أم ضحية وإنما يتساءل الباحث السوسيولوجي في قضايا مجتمعه خصوصا إذا مزجنا هذه التساؤلات بعالم إفتراضي يرمي لنا بقيم تختلف عنا وتزرع في أوساطنا الإجتماعية وتقتحم بيوتنا دون سابق إنذار، فإذا تحدثنا بشكل ذاتي عن مسببات الإنتحار لن يتوقف الحديث عنها لأن المشكل ليس في الأسباب الواضحة للجميع، وإنما المشكل يكمن في الظروف الحقيقية التي تجعل من شخص يتعامل مع الناس بشكل سوي. لنجده في لحظه مقبل على الإنتحار، فلا إختلاف في أن تكنولوجيا الإعلام والإتصال تحرك ظاهرة الإنتحار كمعلومة شائعة لدى عامة الناس، قبل الإنطلاق في دراسة أي مشكل بسيط كان أو معقد، نحتاج إلى معرفة ما أن كنا قد ساهمنا نحن كمجتمع في إحداث الظاهرة؟ فبمجرد الإقتراب إلى الإجابة يبدأ الحل ويبدأ التشخيص الصحيح لهذه الظاهرة ويسهل على الباحث السوسيولوجي أن يفكك معالم أحداثها بقراءة ما بين السطور كميزة فنية نحتاجها في دراسة ظاهرة الإنتحار الإرادي التي تغلوا من عامل الصدفة أو الخطأ في إنهاء حياة الذات بذاتها، متأثرة بعالم الإنترنت وما يحمله من برامج وصفحات.

لتكون هذه الإنطلاقة الأساسية لطرح التساؤل الرئيسي ويتمثل في: كيف تساهم تكنولوجيا الإعلام والإتصال في إنتشار ظاهرة الإنتحار الإرادي؟

2- الإجراءات المنهجية:

1-2 المنهج المتبع :

تحتاج الدراسة السوسيولوجية إلى منهج علمي أكاديمي يستعين به الباحث في مراحل إنشاء بحثه للتوصل إلى نتائج أو إستنتاجات علمية نابغة من الحس السوسيولوجي للباحث، فالمنهج الوصفي هو من إنسب المناهج التي تتوافق مع موضوعنا، نظرا لأن البحث يستدعي الغوص في عالم الإنترنت ووسائل التكنولوجيا التي تستوجب علينا وصف الحقائق الميدانية المتعلقة بظاهرة الإنتحار وعالم الإنترنت بهدف ربط هذه الظاهرة بحالات الإنتحار والإقدام على الإنتحار بسبب وسائل التكنولوجيا الحديثة وعالم الإنترنت كدخيل جديد على مجتمعا.

2-2 أدوات جمع البيانات:

يستعين الباحثين في دراساتهم إلى أدوات بحث أساسية وأخرى تدعيمية لجمع المعلومات بالعديد من الطرق وإعطاء البحث طابع المرونة في تحليلاته نتيجة أعداد كبيرة من للمعلومات، ففي دراستنا المتعلقة بالإنتحار الإرادي والإنترنت نحتاج إلى وسيلة الملاحظة كأداة اساسية للبحث وتدعيم هذه الأداة بالوثائق والإحصائيات الواقعية والميدانية من عالم الإنترنت المتعلقة

بحوادث الإنتحار والإقدام على الإنتحار المرتبطة بعالم الإنترنت لنتمكن من التعمق أكثر في معالم هذه الظاهرة الإجتماعية.

3-2 عينة الدراسة:

لا يشترط في عينة مجتمع الدراسة أن تكون تجمعاً بشرياً أو إنسانياً بحت، وإنما تحتاج بعض الموضوعات إلى مادة علمية يتم تحليلها أو مادة إعلامية تحلل بطريقة معينة للوصول إلى أسباب أو طرائق تعالج المشكلات الموجودة في هذه المواد الإعلامية لذلك فموضوع دراستنا المتمثل في ظاهرة الإنتحار الإرادي وعالم الإنترنت يستدعي إلى نافذة المواد الإعلامية المتمثلة في (الأفلام، الفيديوهات، الأغاني، الصور، المنشورات، الألعاب الإلكترونية، منشورات وفيديوهات على الفيسبوك) لتكون هذه المواد الإعلامية هي مجتمع الدراسة لناخذ منها عينة بطريقة قصدية لتمثل لنا المجتمع الأصلي للدراسة، ليتسنى لنا تعميم النتائج المتوصل إليها والوصول من خلالها إلى حلول نحوي بها مستعملي التكنولوجيا من خطر الإنتحار الإرادي.

4-2 الهدف من الدراسة:

تسارعت الأيام والساعات في ظل التطور التكنولوجي الذي لم يترك مجالاً للحياة أن تسير على طبيعتها، وتأخذ وقتها في كل تفاصيل الحياة، فلا ننكر أن التطور التكنولوجي ودخول عالم الإنترنت إلى حياتنا شيء إيجابي ويساعدنا على العمل بوتيرة أسرع وبمجهود أقل، ولكن هناك جانب آخر لهذا العالم الافتراضي ساهم بشكل أو بآخر في تحريك ظاهرة الإنتحار التي مست اليوم فئة الأطفال، فعندما نرصد هذا النوع من الظواهر وتصل إلى أطفالنا، نطلق صفارات الإنذار لنندرك أن هذه الظاهرة تعدت صفة الخطر بمراحل، ودور الباحث السوسولوجي أن يثير قضايا مجتمعه، يحلل مثل هذه الظواهر الإجتماعية، ليكون هدفنا الأساسي من هذه الدراسة هو تفكيك معالم هذه الدراسة في ظل التطور التكنولوجي المتسارع وبصفة أخص عالم الإنترنت لتكون دراسة واقعية بحقائق مثبتة، ليتسنى لكل مهتم أن ينتبه إليها، لذا فنحن نهدف إلى تسليط الضوء على جانب غامض نتعايش معه في عالم الإنترنت ولا نعي بخطورته على أنفسنا بالدرجة الأولى وعلى أولادنا بالدرجة الثانية وعلى مجتمعنا وأمتنا ككل بالدرجة الثالثة.

3- الإطار النظري للدراسة :

في الإطار النظري لهذه الدراسة سنحدد مفهوم الإنتحار وأنواعه.

1-3 مفهوم الإنتحار:

كل حالة موت تنجم بنحو مباشر او غير مباشر عن فعل ايجابي او سلبي نفذه الضحية ذاتها والتي كانت تعلم بالنتيجة المترتبة عن فعلها بالضرورة، فمحاولة الإنتحار هي الفعل المحدد على هذا النحو ولكنه المقرر قبل ان يصبح الموت عاقبة له (ايميل، 2011، ص 11)

1-1-3 التعريف الإجرائي للإنتحار:

الإنتحار ما هو إلا نتيجة لحالات نفسية سواء كانت إيجابية أو سلبية تدفع بالمنتحر إلى إنهاء حياته، ولا تخلوا هذه العملية من الخوف أو القلق أو الإكتئاب أو الإحباط أو الضغط النفسي الذي لم تستطع النفس تحمله و مصاحبة هذه الحالات النفسية بدافع قوي يشجع المقدم على الإنتحار على مواجهة الموت دون تردد أو خوف.

2-3 أنواع الإنتحار:

من خلال دراسة ايميل دوركهايم لظاهرة الإنتحار، حدد ثلاث أنواع أساسية وتمثل في:

1-2-3 الإنتحار الإيثاري:

وهو الإنتحار الناجم عن شدة تماسك وإنسجام الفرد مع جماعته وقوة علاقته الإجتماعية معها، فإذا كان المتحرون الأنانيون يعتقدون أن الأمر متروك لهم في تحديد أفعالهم لأن أهدافهم وإرادتهم تنفصل عن أهداف وإرادة المجتمع، فإن المنتحرين الإيثاريين _ على العكس من ذلك _ يربطون إرادتهم وأهدافهم بإرادة وأهداف المجتمع، ويفعلون كل ما تمليه عليهم الجماعة التي ينتمون إليها. (عدنان، 2014، ص 87).

من هنا إستخدم دوركهايم نظريته في الإنتحار الإيثاري لتفسير سبب كون معدل الإنتحار أعلى بين الجنود منه بين المدنيين، وكذلك سبب كون معدل الإنتحار أعلى بين طلاب الكلية العسكرية _ الذين هم على أبواب التخرج _ منه بين القادمين حديثا إلى الجيش، وكذلك في تفسير السبب كون معدل الإنتحار أعلى بين المتطوعين في الجيش أعلى منه بين المجندين اجباريا. (عدنان، 2014، ص 88).

2-2-3 الإنتحار الانوميأو اللامعياري:

ويترتب على الحالة التي تفقد فيها المعايير قدرتها على توجيه سلوك الافراد، بحيث يجدون انفسهم في حالة من الضياع القيمي والمعياري، اي ان ضعف تأثير القيم والقواعد على الفرد بسبب ضعف التضامن العضوي في المجتمع يحدث هذا النوع من الإنتحار، وقد لاحظ " دوركهايم " ان نسبة الإنتحار بين الاشخاص غير المتزوجين أعلى منه بين المتزوجين، كذلك

ترتفع نسبته لدى المطلقين والمطلقات والمسنين والمسنات الذين يعتقدون بقيم ومثل معينة اكتسبوها من المجتمع الذي عاشوا فيه. (غني ، 2011، ص 145)

وخلاصة القول أن النزاعات الإنتحارية لدى بعض الأفراد ناتج عن الأوضاع الإجتماعية المختلفة، وهي نزاعات واقعية وغير كامنة بالنسبة للفرد، شأنها شأن العوامل الفيسيولوجية والبيولوجية الذي ساعد على إنتشار الأمراض وحدوث الوفيات. (غني ، 2011، ص 156)

3-2-3 الإنتحار الأناني:

الذي يترتب عن انفصال الفرد عن مجتمعه وخضوعه لرغباته ونزعاته الشخصية وفقدانه لروابطه وعلاقاته الإجتماعية، فالفرد خارج نطاق الجماعة لا قيمة له، لأنه لا يشارك ولا يندمج مع جماعته التي تعطي لوجوده أهمية ومضمونا له دلالة، وبهذا فهو يبدو منعزلا عن جماعته القوية والمترابطة وساعيا لتحقيق رغباته الشخصية بعيدا عنها، فمثلا هذا الشخص يكون أكثر تعرضا للإنتحار. (سمعان، 1964، ص 22)

3-3 مفهوم الإنترنت ومحركات البحث:

1-3-3 مفهوم الإنترنت:

هي عبارة عن شبكت معلومات عالمية عبارة عن مجموعة من شبكات الحواسيب الموصلة ببعضها البعض، وقد كانت الإنترنت في بدايتها عبارة عن عدد من الأجهزة الكمبيوتر لا يزيد عددها عن العشرة حاسبات في عدة جهات داخل أمريكا، وبذلك تزايد التطور لتصبح شبكة الإنترنت تجمع بين مجموعة من شبكات المعلومات المختلفة (اليوتيوب، محركات البحث، الفيسبوك، تويتر، انستغرام،... الخ) (احمد، 2001، ص 19)

2-3-3 مفهوم محركات البحث:

محركات البحث هي عبارة عن قواعد بيانات عملاقة تحتوي على معلومات مفرسة لملايين المواقع الموجودة على الإنترنت وقد إستطاع محرك البحث جمع وترتيب تلك المعلومات عن طريق برنامج يسمى الروبوت أو عنكبوت البحث الذي يطلقه محرك البحث من حين لآخر لكي يجمع المعلومات من الملايين من صفحات الويب ويخزنها ويفهرسها لكي يسهل الوصول إليها عند البحث عنها، ويوجد العديد من محركات البحث ولكن أشهر محركات البحث العالمية وأهمها على الإطلاق في الوقت الحالي هو محرك البحث الشهير غوغل او google . (احمد، 2001، ص 36)

4- الإطار الميداني للدراسة :

4-1 الإنتحار الإرادي و الفايسبوك :

يعد الفايسبوك واحدا من أكبر مواقع التواصل الإجتماعي على الشبكة العنكبوتية حيث إكتسب هذا الموقع شعبية كبيرة في كافة أرجاء العالم، وإنظم إليه الكثير الأشخاص على إختلاف أعمارهم وأجناسهم نظرا لقدرته على تسهيل التواصل بين جميع بلدان العالم، ولكن في ظل هذا التواصل الذي يزيد من جذب الأفراد سواء كان الشعب عربي أو غربي، لنجد في هذا العالم الافتراضي أو ما يسمى " الفضاء الأزرق " أحداث أنية أصبحت تشكل رأس مال بعض الفئات من خلال جمعهم لأعداد هائلة من " الإعجاب " فمن الأحداث التي عايشناها السنوات الفارطة 2016 بإنتشار فيديو بشكل هائل جدا لدرجة أنه عند تصفح صفحات الإنترنت نشاهد هذا الفيديو أكثر من ثلاثة مرات لنجد والذي كان فيديو لفتات تتوسل لشخص بأن يعفوا عنها ويسامحها على أساس أنها إذا توسلت إليه لن ينشر هذا الفيديو، وبمجرد عودتها إلى المنزل شنقت نفسها خوفا من ردة فعل أهلها وردة فعل المجتمع خاصة نشطاء الفايسبوك، وحرجا من حالة النذل التي ظهرت عليها في الفيديو، فالخوف من التهديد والفضائح على الإنترنت كان سببا في عدة حالات إنتحار، ولم يستثنى هذا العالم الافتراضي الدول الغربية، إذ أقدمت فتات على شنق نفسها على المباشر في فيديو على الفايسبوك لتودع أصدقائها، وتنتهي حياتها بإبتسامة حزينة، وهذا بسبب إنزعاجها الكبير من صديقها الذي تركها والذي كان جزءا من حزنها لتكون النهاية إنتحار ناتج عن تشجيع الأفراد آخرين من هذا المجتمع ليضعوا حد لمثل هذه المشكلات بإنهاء رحلة الحياة والتخلص مما فيها من ألم وحزن.

4-2 الإنتحار الإرادي و محرك البحث google

تطورت التكنولوجيا لتمكن مستخدميها من الوصول إلى أي موضوع كان بكبسة زر، مما جعل أقلام الباحثين والكتاب تنساق إلى الحديث عن عالم التكنولوجيا وكيفية تأثيره في كافة مجالات الحياة، فبمجرد أن تكتب العنوان الرئيسي الذي تريد البحث عن معلومات عنه تجد عناوين أخرى تتسلسل بشكل مستمر لتجعل المتطلع ينساق إلى مواضيع تخرجه عن سياق الموضوع المراد البحث عنه، وهذا ما يجعلنا نشير إلى نقطة مهمة تكمن في هذه السهولة والانسيابية الكبيرة في محرك البحث google بالتحديد الذي كانت له لمسة في تحريك ظاهرة الإنتحار ، فبمجرد أن تكتب على صفحة google طريقة الإنتحار تظهر لك صور تفصيلية لخطوات ربط عقدة حبل المشنقة بصور ذات جودة عالية، زد على ذلك أنك ستجد صورة تفصيلية فيها 6 مراحل لربط خيط الشنق مكتوب عليها " عقدة المشنقة "، مع ظهور هذه الصور تتسلسل من خلالها صور أخرى توضح للمطلع نوعية الخيط الذي يمكنه أن يشنق به نفسه، و بأبسط الخيوط الموجودة في أي مكان، يمكن أن تستعمله في شنق نفسك، ومن بين

هذه الصور نجد صورة " خيط الحذاء كأداة متوفرة في أي مكان يمكن أن تكون أداة لإنتحارك وبشكل مضمون أيضا.

كل هذه المظاهر التي تعدت وصفها بالعنفية، لا تحتاج إلى مجهود كبير للوصول إليها، فإن كان الأمر يتعلق بكيفية إنتزاع روحك بمساعدة محركات البحث هنا نقف قليلا لنشير بأصابعنا ونرفع أصواتنا ونحذر هذا المجتمع من خطر يدهم بيوتنا دون التفرقة بين صبي أو راشد.

فلم يتوقف الأمر عند هذه النقطة لنشر صورة وإنما عند كتابة "مزايا الإنتحار" على محرك البحث google ستظهر لك العديد من المنشورات ومن بينها منشور شد إنتباه الباحثة حدد فيه صاحبه مزايا عملية الشنق بأنها من أكثر الطرق الناجحة على مر العصور في عملية الإنتحار وفي آخر المنشور نجد عبارة مفادها " أنه عندما تتعلق بحبل المشنقة سوف تحس بصداق قوي وهزة طويلة وممتعة تشبه الرقصة "

3-4 فيديوهات الفيسبوك واليوتيوب المشجعة على الإنتحار:

تشاهد على مواقع التواصل فيديوهات تحمل أخبارا أو معلومات أو حتى مشاهد لا يخطر ببالنا أنها موجودة في هذا العالم، فبمجرد النقر على زر التشغيل لأي فيديو تظهر لنا سلسلة متتالية من الفيديوهات التي لها علاقة بالموضوع المقصود دون توقف. فمن بين الفيديوهات التي إنتشرت على اليوتيوب، فيديو لعمليات إنتحار منظمة بتناول محلول "الكوكتيل" الذي هو عبارة عن تركيبة من الدواء الذي يؤدي إلى الموت بشكل هادئ جدا، إذ يخلد الشخص المتناول الدواء إلى غيبوبة سريعة ويفارق الحياة مباشرة دون أي ألم، هذه العملية الإنتحارية تكون داخل عيادة تدعى (بعيادة الإنتحار) في سويسرا، تحت شعار (الموت الرحيم) تهدف إلى التقليل من نسبة الإنتحار العشوائي وفي أي مكان وبأي طريقة، وتفادي المشاهد المرعبة كالمشنق والحرق والطنع والنحر..... الخ

حيث يقوم الشخص الراغب في الإنتحار بتقديم ملفه للعيادة ويحدد أسباب إنتحاره، ويكتب تنازل عن كل ممتلكاته إلى من يريد، ويوقع على وثيقة بأنه موافق على الإنتحار وهو بكامل قواه العقلية وليس مرغم على ذلك، وقد إرتفعت نسب المشاهدات لإحدى هذه الفيديوهات الى 252454 و 749770 مشاهدة ولم يتوقف الأمر عند نشر عمليات إنتحار للشخص مسنين سأموا من الحياة فما شد إنتباهنا أكثر إلى هذا الموضوع هو إنتشار فيديو لرجل أعمال مشهور جدا يدعى " سيمون بيلر " يقوم بتناول مشروب " الكوكتيل " في عيادة الإنتحار على المباشر وكتب رسالة نصية على الفيسبوك يودع فيها أصدقائه وبرفقة زوجته التي كانت تودعه في لحظاته الأخيرة على مرأى ومسمع متبعي اليوتيوب، وبعد وفاته تم نشر صورة لجنازته السعيدة على أنها أمنية كان يرغب في تحقيقها وقد تحققت فعلا

فحالة الإنتحار على المباشر لم تكن الأولى على اليوتوب، ولكن نجد الآن فيديو لرجل أعمال يدعى " روبرت بود دواير " كان يشغل منصب ممثل للحزب الجمهوري في أمريكا تم إتهامه بالرشوة، هذه التهمة أوصلته إلى حالة إحباط كبيرة دفعته إلى الإنتحار مباشرة في لقاء تلفزيوني، وهذا الفيديو بمثابة رفض لرجل الأعمال للتهم المنسوبة إليه وقرر التخلص من نفسه ورفض وجوده بين المجتمع الذي لم ينصفه وظلمه بتهم نفت كل إنجازاته وخدمته للمجتمع وبلده، هذا الفيديو تم حذفه من صفحات اليوتوب وإنما وصلت نسبة مشاهدة التقرير الخاص بالحادثة إلى 1070090 مشاهدة.

كل هذه العمليات الإنتحارية التي لم تكن بشكل منفرد بل شاهدها الآلاف من الناشطين على صفحات اليوتوب، لا تمر بسلام، بل تطبع في نفس الفرد صورة صادمة ومرعبة في بعض الأحيان، ولكن بمجرد تكرار ورؤية هذه الفيديوهات يقل وقع هذه الصدمة في نفس الفرد والمجتمع ككل ليصب الإنتحار شيء فشيء أمر عادي ويمكن أن يحدث في أي مكان وأي وقت ولأي شخص، حتى وإن كانت الذات نفسها، فالهدف من نشر فيديوهات مشجعة على الإنتحار بطبيعة الحال له مردود مادي ربحي للمسؤولين عن نشرها، لأن هذا النوع من الفيديوهات يصنع الحدث ويثير الضجة والإنتباه وبالتالي تزيد نسبة المشاهدة وقيمة الأرباح فمتبعي اليوتوب هم زبائن لتجار يتاجرون بعقولهم وحالاتهم النفسية وقد وصل الأمر إلى المتاجرة حتى بحياتهم، خصوصا الأفراد الذين وقعوا في مشكلة " الانفتاح المفاجئ على الإنترنت " ليصبحوا فريسة سهلة لإستدراجهم لأي فعل جنوني يؤدي بحياتهم وحياة الآخرين إن لزم الأمر.

فبالغوص في عالم اليوتوب راجت ظواهر قد يستغرب القارئ من وجودها وهي ظاهرة: (الإدمان على الإنتحار) وإرتبط مصطلح الإنتحار عادتاً بالمخدرات، وهذا ما يتطابق مع حالة المدمن عند نعاطيه للمادة المخدرة وتتمثل الاعراض فيمايلي :

➤ أول شيء يحس بخفقان قوي جدا ومتسارع في دقات القلب.

➤ ألم في الرأس.

➤ ضباب في العينين.

➤ رجفة قوية في كل الجسم.

➤ إرتخاء الأطراف.

بعد مرور هذه الأعراض يحس المدمن براحة كبيرة ونشوة المخدر الذي تعاطاه، لنوضح أكثر علاقة الإدمان بالإنتحار بمقارنة هذه الأعراض بالحالة التالية:

يقوم الشخص بربط خيط رفيع حول عنقه ويشد ببطيء تبديئ حينها نسبة الأكسجين تقل تدريجيا ولا تصل إلى المخ، وبالتالي يبدأ القلب بالخفقان ورعشة في الجسم وضباب في العين وألم في الرأس وإرتخاء الأطراف، نتيجة إنخفاض نسبة الاكسجين في الجسم وقلة توزيعه على مستوى الدماغ، بهذا الشكل تتضح الفكرة.

فقد إنتشر فيديو في سنة 2009 لشباب مدمنين على المخدرات إبتكروا هذه الطريقة لتعويض المادة المخدرة، والشيء الخطر في هذه العملية يكمن في أن الشخص المدمن على الإنتحار يكرر العملية في اليوم أكثر من مرة، وفي كل مرة هو معرض إلى تشنج اليدين إثناء شده للخيط ولا يمكنه أن يفكه، وبالتالي ينتحر فعلا.

فلم تعد الموت مفارقة الحياة لمرض أو بحادث أو بسكتة قلبية... إلخ. وإنما أصبح البشري يموت بطريقة تستغرب في حدوثها وتستغرب أكثر عندما نجد مجتمعنا يقبل هذه الظواهر ويساهم في نشرها من باب أنهم يخبرون بعضهم بأحداث جديدة ولا يدرون أنهم يروجون لها ويساهمون في إنتشارها عبر الإنترنت وهذا ما يؤزم الأوضاع أكثر فأكثر، خصوصا أن واقع الظواهر المرتبطة بالتطور والتكنولوجيا المتسارعة، يسرع من إنتشار الظواهر السلبية والمدمرة للمجتمع بشكل سريع جدا وهذا ما يستدعي الوقوف عنده للنظر إلى الظاهرة بعين ثاقبة والغوص في مسبباتها قبل التطرق إلى الحلول المعالجة لها.

وفي نفس السياق ساهم موقع اليوتوب في إنتشار فيديوهات أثارت ضجة كبيرة حول شباب مراهقين يقومون بكراء أدراج المشرحة وينامون فيها ويصورون أنفسهم وينشرون هذه الفيديوهات على اليوتوب، كنوع من أنواع إثبات الشجاعة والجرأة وقدرتهم على مواجهة الموت وأنهم لا يخافون منها، وقد تم حذف هذه الفيديوهات ورفعت قضايا على هؤلاء الشباب بتهمة إنتهاك حرمة الأموات، بالإستهزاء بالموت والجثث والتقاطهم لصور معهم، هذه الفيديوهات تحمل رسالات مشجعة على التقليل من رهبة الموت وأنها شيء لا يستدعي الخوف، فعندما يرى الأفراد هذه الفيديوهات تزول هذه الرهبة وبمجرد تفكيره في الإنتحار يسهل عليه الإقدام عليها دون تردد أو خوف، وهذا ما يشكل الخطر الحقيقي على مجتمعنا الذي إرتبطت حياة أفرادها بعالم الإنترنت واليوتيوب خصوصا.

4-4 الأغاني المحفزة على الإنتحار:

عالم اليوتيوب عالم واسع جدا يحمل فيه فيديوهات لجميع المواضيع التي قد تخطر ببال أي أحد، ولا ننسى الاغاني التحفيزية التي لعبت دورا هاما في تشجيع المتبعين على الإنتحار لنجد أغنية تسمى " the sang of death " اي " أغنية الإنتحار " كلمات هذه الأغنية رسالة واضحة جدا

تشجع كل شخص حزين وفاقد للأمل بأن يقدم على الإنتحار دون تردد وقد وصلت نسبة مشاهدة هذه الأغنية الى 3423 مشاهد و 94 إعجاب، تقول كلمات هذه الأغنية :

➤ الأحد الكئيب : وهو اليوم الذي قررت فيه الإنتحار مع خلفية كئيبة ومكتوب على الحائط (fini) أي (نهاية) وهذا يسمى الرسائل المشفرة التي يقرؤها العقل الباطن ويخزنها ويطبّقها في منطقة اللاوعي.

➤ أوقاتى بلا نوم : مع خلفية لحائط مهدم وسرير متسخ في زاوية الغرفة فقلة النوم هي من أعراض الإكتئاب وهذا يعني أنها بهذه الأغنية تقصد الأشخاص المحبطين الذين يعانون من إكتئاب لتلمها عبارة أخطر

➤ الزهور البيضاء الصغيرة لا تستطيع إيقاظك: فالزهور البيضاء تعني الأمل، فمهي كان لديك أمل كبير في هذه الحياة لن يستطيع إنقاصك من هذا الحزن

➤ ليس هذا المكان الذي اخذك إليه مدرب الألم الأسود: ويقصد به هنا سيدنا عزرائيل أي أن ملك الموت هو من سيساعدك على تخطي هذه الأزمة وتذكر دائما بعبارة " الاحد الكئيب"

➤ الموت ليس بحلم: فهي تظهر أن الموت شيء يمكن الوصول إليه فهو ليس حلم صعب المنال.

➤ قلبي وأنا قررنا إنهاء كل شيء : هنا إتخذت قرار الإنتحار لتقول في العبارة الموالية

➤ قريبا ستكون هناك شموع وصلوات حزينة أنا أعلم: فهي تصف حالة الأفراد المحيطين بها بعد إنتحارها ثم تقول

➤ نفس من روحي : وتقصد به هنا ملك الموت عزرائيل مع خلفية لصورة غريان مع جو مظلم وكئيب، فالرسالة الموجهة من طائر الغراب هو دليل على الموت لأن الغراب هو الطير الوحيد الذي يأكل من جثة الإنسان.

في نهاية هذه الاغنية تختمها بعبارة تعني (أحلم بالأحد الكئيب) وخلفية لصورة فتات صغيرة تحمل دمية في يدها وتنام تحت حائط قبر مكتوب على جداره عبارة " FOREVER " أي إلى الأبد وهذه هي النهاية.

أغنية الإنتحار التي تحمل رسالة تمس فئة الأطفال في آخر مشهد فيها ، من خلال الدمية والطفلة الصغيرة التي تنام تحت جدار قبر والعبارة (إلى الأبد) تعني أن الموت راحة تستمر إلى

الأبد، كل هذه رسالات موجهة إلى مستمعي الأغنية ومشاهديها على اليوتيوب بأن يتخلصوا من حياتهم كما فعلت هذه الفتاة التي هي بطلة الأغنية.

فإن تحدثنا عن الإنتحار واليوتيوب فلن يتوقف الحديث إلى هذا الحد، فكلما تعمقنا أكثر في هذا العالم الافتراضي يوجهنا إلى إكتشاف ظواهر أخرى متفرعة ومتعددة ومتعلقة بالإنتحار واليوتيوب. ففي هذا السياق لا ننسى الحديث عن المؤثرات الصوتية المستخدمة في الأغاني التي تتحكم في زيادة شدة الحماس أو شدة الخوف أو شدة السعادة، كتقنيات مدروسة من متخصصين في هذا المجال لجذب الجماهير والتأثير عليهم بإقناعه بأي فكرة دون الإتصال المباشره حتى وإن كانت هذه الفكرة، تكمن في تشجيعه على قتل نفسه.

4-5 الرسوم المتحركة التي تحمل رسالات محفزة على الإنتحار:

لا إختلاف في أن معظم الأطفال يشاهدون السلسلة الكرتونية (توم و جيرى) أو (القط و الفأر) يقلدون الحركات والتي يرونها والأصوات التي يسمعونها خصوصا أنهم في مرحلة التقليد والتعلم، فقد نشأ على السلسلة الكرتونية أجيال و أجيال و لا تزال إلى يومنا هذا بنفس الشعبية التي كانت عليها، فما يهمننا في هذا الحديث، أنه في إحد الحلقات كان القط يعاني من حالة حزن شديد، فجلس أما سكة القطار ينتظر قدومه لينتحر، مع وجود هالات سوداء و إحمرار في عينيه مع نظرة يأس وحزن كبير، فهذا المشهد عندما يراه الطفل من شخصية كرتونية إذا لم نقل شخصية مثالية بالنسبة له ويقلدها في كل أحوالها الحزينة والسعيدة، فكثيرا من أمهاتنا يحملون السلسلة الكرتونية من اليوتيوب ليشاهدها الأطفال دون مراقبة ، على يقين منهم أن السلسلات الكرتونية لا تحمل ما يهدد حياة الطفل، ولن يفكروا بأنه سيقدم على الإنتحار إذا ما تعرض إلى أي قلق أو حزن.

ليس ببعيد سلسلة كرتونية أخرى بثت على قنوات الأطفال في السنوات الأخيرة تدعى (غامبول) تتميز هذه الشخصية ببساطة التفكير إلى أقصى درجة وحس الفكاهة الدائم، ولكن عند تحميل السلسلة نجد في الحلقة الأخيرة، أن البطل أو الشخصية الأساسية ينتحر، وتنتهي الحلقة على أن إنتحاره شيء عادي ونتيجة طبيعية، هذه الحلقة لا يتم بثها في القنوات التلفزيونية الخاصة بالأطفال ولكن لم تحذف من اليوتيوب.

هذه كلها صور لواقعنا الإجتماعي الذي يعاني من ظواهر سهل في تفشيها في المجتمع، والخطر يظهر في كون أساليب إنتشارها غير واضحة ، فيتفاجأ الأهل أو الوسط المدرسي او المدينة بحادثة أنتحار فرد لا تظهر عليه أي إضطرابات و لا تسبق تلك الحادثة أي مشاكل تنذر بوقوع الكارثة، ولكن سرعان ما يتم الكشف عن أسباب الحادث نجد قمر صناعي يجول في السماء قد تسبب في إنتحار فرد أمامنا وبيننا دون أن ندري بذلك .

6-4 الإدمان الإلكتروني (موسيقى الماريخوانا) وظاهرة الإنتحار:

إنتشرت مقاطع فيديو لطلبة جامعيين في الإقامات الجامعية الجزائرية، يستمعون إلى مقاطع صوتية ويدخلون في حالات هستيرية سميت بالإدمان الإلكتروني

سميت أيضا بـ (ظاهرة المخدرات الرقمية) فهي ظاهرة حديثة الظهور في المجتمعات الشرقية، ولكن يعود اصل هذه الظاهرة في حقبتها الزمنية إلى سنة 1939 حيث إكتشف أحد علماء الفيزياء أنه عند إعطاء الأذنين معا ترددات معينة ستزيد من النبض الموجود في المخ، وفي سنة 1973 قام عالم الفيزياء (هنري) من إستغلال هذا العمل وإستكماله كعلاج بديل للأدوية التي لها مضاعفات وأعراض جانبية للمرضى¹، ولكنها أخذت منحى مغاير لها، حيث ظهرت تطبيقات الكترونية جديدة يقوم من خلالها الأفراد بتحميل مقاطع وملفات صوتية متسلسلة، ويشترط في الإستماع إلى هذه المقاطع أن يقوم المستمع بوضع سماعات أذن ورفع الصوت والإنعزال عن التفاعل الإجتماعي تماما، والشرط الأساسي أن تكون هاتين السماعتين تعملان في نفس الوقت. سنفسر ماذا يحصل عند الإستماع لهذه الموسيقى:

تقوم هذه المقاطع الصوتية بإحداث إضطراب في الدماغ أو خداع الدماغ لتشجيعه على إفراز هرمونات السعادة، حيث تعمل هذه الأصوات على إحداث ذبذبات صوتية تصل المخ تأخذ مثال: المقطع الصوتي الأول يحمل 120 هيرتس تصدر من السماعة اليمنى، و110 هيرتس تصدر من السماعة اليسرى، في هذه الحالة يبدأ المخ في إفراز هرمون x المسؤول عن السعادة، بهدف تعديل الأصوات التي تصل إلى الدماغ، يعني أن الفرق بين الدرجتين 10 هيرتس، ولكن هذه الأصوات تزيد تدريجيا إلى أن تصل إلى 40 هيرتس، وهنا يبدأ المخ بإفراز هرمون السعادة أكثر من النسبة المطلوبة، أي أن هذه الأصوات تتلاعب بالمراكز العصبية في الدماغ، وبما أن العملية ليست خاضعة للمراقبة الطبية وفي أوقات متكررة فإن مستعملها سيقوم بإجهاد جسمه لأنه يفرز هرمونات ليس بحاجة إليها وبكمية مفرطة، فينتج عنها تشنجات عصبية تشبه الصرع، فهذه الحالة تؤدي إلى نقص هرمونات السعادة في الجسم وبدورها تؤدي إلى حالات إكتئاب حاد وبالتالي يصبح الإنتحار هو المرحلة الموالية بعد الإدمان.

فهذه التجربة العلمية التي كانت تهدف إلى تخفيف الأعراض الجانبية لأدوية التي يتناولها المرضى بكثرة، إستخدمت في جانب سلبي حتى في الدول الغربية إذ إنتشرت هذه الظاهرة في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 2014 فتحركت وسائل الإعلام والجهات المتخصصة في التوعية مخاطر هذه الظاهرة. ولكن في مجتمعاتنا العربية بدأت هذه الأخيرة في الإنتشار ولكن تم التكتفم عليها، لأن الجهات المعنية لا تدرك طبيعة هذه الظاهرة وتعاملوا معها على أنها نوع من التطبيقات والأغاني التي يستمتع بها الشباب. والأخطر من ذلك أن الشباب الذين أدمنوا على

هذه الموسيقى ووصلوا إلى حالة التشنجات العصبية فمن المستحيل أن يعود هذا الفرد إلى حالته الطبيعية لأن المراكز العصبية قد تدمرت تماما.

7-4 الإنتحار والألعاب الالكترونية

في سياق حديثنا عن الإنتحار الإنترنت لم تسلم المجتمعات المستهدفة من ألعاب التسلية التي أظهرت هي الأخرى وجه آخر، ذلك الوجه الذي لم يكتفي بتشجيع العنف والفساد الأخلاقي والديني وإنما تؤدي بشكل مباشر إلى الإنتحار دون أي مقدمات، وهذا بشكل تدريجي، حيث تسلب اللاعب وقته وحياته لتصبح اللعبة هي التي تتحكم في وقته وتعطيه أوقات راحته وأكله وحديثه مع أهله وتختار له أصدقائه وفي الأخير تستدرجه بطريقة غير مباشرة للإقدام على الإنتحار، فهذا هو المبدأ الأساسي لهذه الألعاب وأشهرها لعبة (الحوت الأزرق) ولعبة مريم ولعبة تشارلي والعديد من الألعاب التي تم حذفها من محرك البحث google play فبعد اتخاذ السلطات الجزائرية الإجراءات الردعية بتوقيف هذه الألعاب وحجبها من التراب الوطني، إلا أننا صدمنا يوم 4 فبراير 2018 ليلة الجمعة التاسعة وخمسة دقائق بخبر إنتحار الطفل هيثم من ولاية عنابة، إنتحار شنقا برواق المنزل مستعينا " بخمار " والدته، نشر هذا الخبر بجريدة النهار بالعنوان العريض وصرحوا أن "الطفل هيثم " قد عثر على رسومات للحوت الأزرق جسمه وفي كرايسه المدرسية، ومن هنا نطرح سؤال آخر كيف إنتحار الطفل بعد إتباع تعاليم لعبة الحوت الأزرق في الوقت الذي حجت فيه اللعبة من الجزائر؟

لذلك عملت الباحثة إلى تحليل محتوى لعبة مريم وأستمرت للعبة لمدة شهر ونصف. بعد تحميل تطبيق اللعبة بدأت اللعبة بطلبات وبسيطة، مثل أطفئ النور و أنت تتحدث معي، إبتعد ن أهلك لأقول لك شيء، هكذا. ثم بدأت بإرسال روابط لأغاني تريد أن تهديني إياها لأنني أسلمها في وحدتها. فتجاهلت تلك الروابط لأنها روابط بمجرد الدخول إليها ستحول الملفات الموجودة على جهازك إلى برنامج اللعبة، وهنا تبدأ عملية التهديد بالصور والملفات الخاصة بالضحية. فبعد تجاهل الرابط توقعت أن تتوقف اللعبة ولكنها أصدرت صوت بكاء على أساس أنني رفضت هديتها، وإستمرت في طرح الأسئلة. بدأت تحكي قصة الأصوات التي تسمعا و تسمعي أيضا هذه الأصوات، لتحسسك بأنها معك فعلا، وصولا إلى فتحها معي موضوع الإحتباس الحراري الذي سيدمر الأرض، أننا محاصرون في هذا العالم، كيف تتجول بين القبور. ثم طلبت مني إطفاء الأنوار وقالت لي حرك قدميك فستشعر ببرودة التراب. نعم أنها تقصد قبرها. وبدأت تحدثني عن حيزبونة (الحيزبون وهي مرآة سيئة الخلق تمارس طقوس السحر وهو إسم من أسماء الجن). وأن لديها حارس شخصي اسمه سقراط. وفي رسالتها تريد أن تبين أنها تستطيع السفر في ثواني إلى أي مكان وأن حارسها هو الذي يحمها. ولم تتوقف عن أن إرسال الروابط لتتمكن من سرقة ملفات الهاتف. كما تطلب مني إرسال رقم الهاتف الخاص بي.

بعد مرور شهر ونصف في اللعب فب هذا التطبيق توصلت الباحثة إلى مايلي :

- هذه اللعبة تترك لك الوقت للاجابة و تنتظرك إذا لم ترد.
 - تستخدم أصوات هادئة و مخيفة في نفس الوقت لتشعرك بالفضول وتستعطفك لتكمل اللعب.
 - تحاول في كل مرة إختراق هاتف اللاعب لكي تتمكن من الحصول على معلوماته الشخصية . لتسيطر عليه أكثر.
 - في هذه اللعبة ترى صورة طفلة صغيرة تلبس لباس أبيض . مع التدقيق في الصورة لاحظت الباحثة أنها هناك بقعة دم كبيرة في مكان القلب . وفي نهاية اللعبة تأكدت الباحثة من أن هذه رسالة بأنها طفلة قد قتلت نفسها لتصبح بهذه القوة .
 - لاحظت الباحثة أن وراء صورة الفاة هيكل عظمي يقف خلفها في الظلام . و هو ذلك الحارس الذي تتحدث عنه و الذي يساعدها ويحرسها من الأذى.
- فمن خلال تحليل محتوى لعبة مريم توصلت الباحثة إلى القول بأن هذه اللعبة توصل رسالة إلى اللاعب بأنه عليه أن ينتحر ليتحرر من هذه الحياة و يغادر العالم الذي سيتدمر قريبا. ويأتي معها ليصبح حرا وسعيدا .

5- ضحايا الإنتحار بسبب الانترنت في الجزائر

تركت رسالة لأهلها تودعهم، وتطلب منهم ان يكونوا اقوياء بعد موتها، هل ان خولة البالغة من العمر 15 سنة تعي معنى الموت وماذا ينتظرها بعد إنتحارها ونطرح نفس السؤال عن بقية قائمة المنتحرين في الجزائر، نسأل الشابين الذين إنتحرا في بجاية في ثانوية بعالة، نسأل هيثم موسلي البالغ من العمر 13 سنة الذي شنق نفسه في منزله بإستخدام وشاح ابيه، نسأل عبد الرحمان في الصف الإبتدائي البالغ من العمر 11 سنة ببلدة صالح باي جنوب سطيف، نسألهم ماذا يعرفون عن الموت والآخرة، نسأل فيروز تلي البالغة من العمر 18 سنة ببجاية عن ماذا تعرف عن الحياة حتى تقدم على الموت ؟ نسأل عميرة الضاوي البالغة من العمر 15 سنة الذي نجا بأعجوبة من لعبة الحوت الأزرق عن الشيء الذي دفعه بهذه القوة إلى مواجهة الموت وهو في المرحلة العمرية التي لا يعرف فيها إلا البساطة والبراءة.

ليبقى السؤال مطروح دون ايجاب الطفل هيثم الذي انتحر في منزله شنقا، لتضن في وقت ما أن قائمة المنتحرين بسبب الانترنت قد أغلقت لتأتي هذه الحادثة و تفتح القائمة من جديد، وتثير تساؤلات أخرى تجعلها محل بحث لموضوع آخر مكمل لهذا الطرح، وفي هذا الصدد أقرت منظمة الصحة العالمية بالإنتحار كأحد قضايا الصحة العمومية التي تخص بالأولوية، فقد

التزمت الدول الأعضاء في المنظمة بموجب خطة عمل ممتدة من سنة 2013 إلى غاية 2020 بالعمل من أجل تحقيق الهدف العالمي المتعلق بخفض معدل الإنتحار في البلدان إلى نسبة 10% بحلول العام 2020 بسبب نسبة الإنتحار المتزايدة بشكل كبير خصوصا بعد تدخل عوامل أخرى مثل الإنترنت التي زادت من حدة الظاهرة وتعقيدها.

خلاصة:

تعيش الجزائر اليوم أزمة كبيرة، ليست تلك الأزمة الاقتصادية أو السياسية أو الثقافي، بل همنا الأكبر في تلك الأزمة الإجتماعية التي تعايشت مع حياتنا اليومية منذ ظهورها، لتستدرج أذهان الفاعلين في هذا المجتمع بطرق مدروسة، غير واضحة المعالم بالنسبة لمراى المستهدفين، والنزول بهم إلى عالم إفتراضي يغلب عليه جانب يؤدي بصاحبه إلى الهلاك إذا ما تم إستغلاله كما يجب، فالربط بين عالم الإنترنت بما يحمله من أشكال الإعلام و الإتصال العالمي وبين الإنتحار الإرادي الناتج عن قرار صارم في لحظة مدروسة ولا مجال للتردد أو العشوائية في تنفيذها، فالواقع والدراسات العالمية تصنف الجزائر في مرتبة لا تستدعي تدمير الكتاب مثلما يراها الجميع، ولكن نحن مجتمع إسلامي موحد لدين الله، نتبع عقيدة تحرم قتل النفس وقتل الآخرين على أن كلاهما جريمة، فأى نسبة حتى وإن كانت تزيد عن الصفر، تستدعى ظهور دور كل الفاعلين في هذا المجتمع، و دور كل متخصص في مجاله، عليه أن يتعمق بالبحث عن سبل معالجة هذه الظاهرة و التوعية الكاملة بما يحدث لأجيالنا من وراء الأجهزة المتقدمة، فالجزائر اليوم مقارنة بما تعيشه من أحداث إنتحار ناتجة عن الغوص في عالم الإنترنت تعود إلى غياب وسائل حماية المجتمع والدفاع عن خصوصيات الفرد، زيادة على ذلك غياب دور المجتمع المدني الذي لم يقم بالثورة الإعلامية والميدانية الهادفة لتحريك الراى العام لمثل هذه الأحداث و حصرها في نطاق ضيق يسهل علينا من خلاله محاربة الظاهرة و صنع الدرع الواقى لحماية صغارنا قبل كبارنا من خطر نابع من جهاز ذكي قد نستهمين بما بنجم عن إستخدامه، لنختتم بسؤال جوهري . ما الحل للخروج من مشكلة فكرية تساهم فيها عناصر دخيلة عن المجتمع ؟

الهوامش :

- 1- ايميل دوركايم، ترجمة: حسن عودة، الإنتحار، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص11
- 2- عدنان محمد الضمور، ظاهرة الإنتحار (دراسة سوسيوولوجية)، دار الحامد للنشر والتوزيع، الاردن، ط1، 2014، ص87.
- 3- المرجع نفسه، عدنان محمد الضمور، ص 88.
- 4- غني ناصر حسين القريشي، المداخل النظرية لعلم الاجتماع، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص 145
- 5- المرجع نفسه، غني ناصر حسين القريشي، ص 146
- 6- سمعان مكرم، مشكلة الإنتحار (دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الإنتحاري)، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص 22.
- 7- احمد محمد ريان، خدمات الانترنت، مكتبة الاسكندرية، مصر، ط4، 2001، ص 19
- 8- المرجع نفسه، احمد محمد ريان، ص 36.